٥٠ – باب الخوف

قَالَ الله تَعَالَى: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠]، وَقالَ تَعَالَى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: ١٢]، وَقالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ [ص:١٤٣] مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود: ١٠٢ – ١٠٦]، وَقالَ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨]، وَقالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: ٣٤ – ٣٧]، وَقالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ} [الحج: ١ – ٢]، وَقالَ تَعَالَى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمان: ٤٦]، وَقالَ تَعَالَى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور: ٢٥ – ٢٨]

وَالآيات في الباب كثيرة جدًا معلومات، والغرض الإشارة إِلَى بعضها وقد حصل:

==========

قَالَ الله تَعَالَى (وَإِيَّايَ فَارْهَبُون) أي : فاخشون .

في الآية وجوب الخوف من الله وحده .

وَقالَ تَعَالَى (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) .

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) أي : ومثل ذلك الأخذ والإهلاك للظالمين السابقين، يكون أخذ ربك وعقابه لكل ظالم يأتي بعدهم وينهج نهجهم.

والكاف في (وَكَذلِكَ) بمعنى مثل، والمراد بالقرى: أهلها الظالمون.

والأخذ: هو العقاب المباغت السريع: يقال أخذ فلان الموت، إذا نزل به بسرعة وقوة.

روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ رسول الله ﷺ وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد) متفق عليه .

وقوله تعالى (وهي ظالمة) فيه أن هلاك الله للأمم إنما بسبب ظلمهم وكفرهم .

والله يمهل الظالمين ولا يهمل كما قال تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ).

(إِنَّ فِي ذَلِكَ) يقول تعالى : إن في إهلاكنا الكافرين وإنجائنا المؤمنين .

(لآيَةً) أي : عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الآخرة .

(لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ) لأنه هو المنتفع بالعبر والعظات لصدق إيمانه، وصفاء نفسه، وإيقانه بأن هناك في الآخرة ثواباً وعقاباً وحساباً على الأعمال الدنيوية..

أما الذي ينكر الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، فإنه لا يعتبر بما أصاب الظالمين من عذاب دنيوي دمرهم تدميراً، بل ينسب

ذلك إلى أسباب طبيعة أو فلكية أو غيرهما، لا علاقة لها بكفرهم وظلمهم وطغيانهم .

الأمم المكذبين للرسل وما حل بهم في الدنيا من الخزي، قال بعد ذلك (إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة) فأخبر أن في عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة.

وقوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا) أي : يخشى عذاب الآخرة ، فالمحذوف في سورة النازعات صرح به هنا .

(**ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ**) أولهم وآخرهم .

كما قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) .

وقال تعالى (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) .

وقال تعالى (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) .

ونكّر اليوم تهويلاً وتعظيماً

(**وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**)أي : عظيم تحضره الملائكة ، ويجتمع فيه الرسل ، وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب ، ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها .

كما قال تعالى (كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) .

وقال تعالى (أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

والغرض من ذلك، وصف هذا اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام، بأنه اليوم الذي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ... .

(**وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ**) الأجل في اللغة: الوقت المضروب لانتهاء مدة معينة .

فأجل الإنسان: هو الوقت المحدد لانقضاء عمره، فقوله (إلا لأجل) أي : لوقت .

المعدود : المحسوب بإتقان لا يزيد ولا ينقص .

والمعدود: أصله المحسوب، والمراد به هنا: المحدد بمدة معينة لا يزيد عليها ولا يتأخر عنها.

أي : أننا لا نؤخر هذا اليوم إلا لوقت محدد معلوم لنا، فإذا ما جاء موعد هذا الوقت، حل هذا اليوم الهائل الشديد وهو يوم القيامة، الذي اقتضت حكمتنا عدم إطلاع أحد على موعده.

(**يَوْمَ يَأْتِ**) أي : يوم يأتي يوم القيامة .

(**لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) أي : لا يتكلم أحد إلا بإذن الله .

كما قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) .

(**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**) أي: فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد، كما قال (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) .

الشقي : هو الشخص المتلبس بالشقاوة. والشقاء: أي سوء الحال- بسبب إيثاره الضلالة على الهداية، والباطل على الحق .

والسعيد: هو الشخص المتلبس بالسعادة، وبالأحوال الحسنة بسبب إيمانه وعمله الصالح.

والمعنى: حين يأتي هذا اليوم وهو يوم القيامة، لا تتكلم فيه نفس بأي كلام إلا بإذن الله تعالى ويكون الناس فيه منقسمين إلى قسمين: قسم شقي معذب بسبب كفره، وسوء عمله، وتفريطه في حقوق الله، وقسم سعيد منعم بسبب إيمانه: وعمله الصالح.

(**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**) الزفير : هو إخراج النفَس بشدة ، والشهيق : هو رد النفس بشدة ، قال

الطبري : صوتُ الكافر في النار صوت الحمار ، أوله زفير وآخره شهيق

والمراد بهما: الدلالة على شدة كربهم وغمهم، وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة، واستبد به الضيق حتى صار في كرب شديد .

والمعنى: فأما الذين كان نصيبهم الشقاء في الآخرة، بسبب كفرهم واقترافهم للمعاصي في الدنيا، فمصيرهم إلى الاستقرار في النار، لهم فيها من ضيق الأنفاس. وحرج الصدور، وشدة الكروب ما يجعلهم يفضلون الموت على ما هم فيه من هم وغم. وخص سبحانه من بين أحوالهم الأليمة حالة الزفير والشهيق تنفيرا من الأسباب التي توصل إلى النار، وتبشيعا لتلك الحالة التي فيها ما فيها من سوء المنظر، وتعاسة الحال ...

وَقالَ تَعَالَى (وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) أي : يخوفكم عقابه .

أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك.

قال ابن عاشور: قوله تعالى (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) تحذير من المخالفة ومن التساهل في دعوى التقية واستمرارها أو طول زمانها.

وَقالَ تَعَالَى (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

(فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ) أي : القيامة ، سميت بذلك لأنها تصخ الآذان بصيحتها وأهوالها ، وتنزعج لها الأفئدة يومئذٍ ، مما يرى من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال .

قال القرطبي : والصاخّة : الصيحة التي تكون عنها القيامة ، وهي النفخة الثانية ، تَصُخ الأسماع : أي تُصِمُّها فلا تسمع إلا ما يُدْعَى به للأحياء.

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) أي : يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل .

ويفر منهم لأمور ثلاثة :

أولاً : (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

ثانياً : ولعدم مطالبته له بحقوقه: يا رب لي حق عند هذا .

الثالث : وخوف الفضيحة فقد كان مستوراً أمام إخوانه في الدنيا، وفضح في الآخرة فيخشى أن يرى .

– قال في التسهيل **(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ...)** وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه .

وقيل : إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتبعات **والأول أرجح وأظهر** ، لقوله (لِكُلِّ امرئ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَـأْنٌ يُغْنِيهِ) أي هو مشـغول بشـأنه من الحساب والثواب والعقاب ، حتى لا يسعه ذكر غيره ، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام ، يومئذ : نفسي نفسي .

وقال القرطبي (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) لأنه لا يتفرغ لذلك ، لاشتغاله بنفسه ؛ كما قال بعده (لِكُلِّ امرئ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَـأْنٌ يُغْنِيهِ) أي يشغله عن غيره.

وقيل : إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه ، لما بينهم من التَّبِعات .

وقيل : لئلا يرَوا ما هو فيه من الشدة.

وقيل : لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئاً .

(وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ) يهرب من أقرب الناس إليه وأحبهم إليه أمه وأبيه من شدة الكرب وعظم الخطب .

(وَصَاحِبَتِهِ) أي : ويهرب من زوجته الحبيبة رفيقة عمره ، وسكنه الذي يسكن إليه في الدنيا والتي يحفظها ويصونها ، ولا يسمح لأعين الآخرين أن تنظر إليها في الدنيا .

(وَبَنِيهِ) أي : ويهرب من أبنائه الذين هم فلذة كبده وثمرة فؤاده .

(**لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**) أي : هو في شغل شاغل عن غيره .

ولذلك لما قال النبي ﷺ (إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ، قالت عائشة : الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ : الأمر أعظم من أن ينظر بعضهم إلى بعض) متفق عليه .

وفي حديث الشفاعة (أن الناس يأتون إلى آدم ونوح وغيرهما من الأنبياء كل منهم يقول : نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري) متفق عليه .

وَقالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) .

(**يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ**) افتتح الله عز وجل هذه السورة بالوصية لجميع الناس بتقوى الله.

قال الشوكاني : أي احذَرُوا عِقَابَهُ بِفِعْلِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَفْظُ «النَّاسِ» يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْمَوْجُودِينَ وَمَنْ سَيُوجَدُ .

وقد جاءت آيات كثيرة تأمر بتقوى الله:

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

وقال تعالى (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ).

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ).

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً).

(**إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**) تعليل لما قبلها من الأمر بالتقوى ... ملاحظة عظم ذلك وهوله وفظاعة ما هو من مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة.

أي : اتَّقُوا اللهَ؛ لأنَّ أمامَكم أهوالًا عَظيمةً، يَحصُلُ منها رُعبٌ هائِلٌ، وفَزَعٌ كَبيرٌ يومَ القيامةِ، ولا نجاةَ مِن ذلك إلَّا بتَقواهُ سُبحانَه

قال ابن كثير : أي أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق مفظع ، وحادث هائل ، وكائن عجيب .

قال الشنقيطي : أي اتقوا الله ، لأن أمامكم أهوالاً عظيمة ، لا نجاة منها إلا بتقواه جل وعلا.

قال القاسمي : والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف ، بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارّها ويخرجها عن مراكزها

(**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**) أي : أن هذه الزلزلة من مظاهر شدتها ورهبتها، أنكم ترون الأم بسببها تنسى وتترك وليدها الذي ألقمته ثديها. وكأنها لا تراه ولا تحس به من شدة الفزع.

قال ابن عاشور : وذلك أن المرأة لشدّة شفقتها كثيرة الاستحضار لما تشفق عليه ، وأن المرضع أشد النساء شفقة على رضيعها ، وأنها في حال ملابسة الإرضاع أبعد شيء عن الذهول فإذا ذهلت عن رضيعها في هذه الأحوال دلّ ذلك على أن الهول العارض لها هول خارق للعادة.

وهذا من بديع الكناية عن شدة ذلك الهول لأن استلزام ذهول المرضع عن رضيعها لشدّة الهول يستلزم شدّة الهول لغيرها بطريق الأوْلى ، فهو لزوم بدرجة ثانية ، وهذا النوع من الكناية يسمى الإيماء.

الرؤية بصرية لأنهم يرون ذلك بأعينهم ، والذهول: الذهاب عن الأمر والانشغال عنه مع دهشة وحيرة وخوف .

(**وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**) أي : وترونها- أيضا- تجعل كل حامل تضع حملها قبل تمامه من شدة الفزع.

(**وَتَرَى النَّاسَ**) أي : وترى- أيها المخاطب- الناس في هذا الوقت العصيب .

(**سُكَارَى**) هيئتهم كهيئة السكارى .

جمع سكران : أي يشبههم من رآهم بالسكارى ، من شدة الفزع .

(**وَمَا هُم بِسُكَارَى**) أي : ما هم على الحقيقة بسكارى، لأنهم لم يشربوا ما يسكرهم .

قال ابن الجوزي : والمعنى : ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم ، لشدة ما يمرُّ بهم ، يضطربون اضطراب السكران من الشراب.

قال البقاعي : ولما كان الناس كلهم يرون الزلزلة ، ولا يرى الإنسان السكر – إلا من غيره قال في الزلزلة (ترونها) وقال في [السكر] : (وترى الناس سكارى) أي لما هم فيه من الدهش والحيرة والبهت لما شاهدوا من حجاب العز وسلطان الجبروت وسرادق الكبريا .

(**وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**) أي: ولكِنَّ الذي أوجَبَ لهم هذه الحالةَ خَوفُهم مِن شِدَّةِ عذابِ اللهِ الذي رأوْهُ، فأذهَبَ هَولُه عُقولَهم، وأفرَغَ قُلوبَهم، ومَلَأها فَزَعًا ورُعباً .

وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة : هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة ، أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم ؟

فقال قائلون : هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة .

واختاره : السمعاني، وابن عطية ، وابن جزي، وابن عاشور، ونسبه القرطبيُّ إلى الجمهورِ.

قال أبو حيان: قال الجمهورُ: في الدنيا آخرَ الزمانِ، ويتبعُها طلوعُ الشمسِ مِن مغربِها .

وقال ابن عطية : واختلف المفسرون في " الزلزلة " المذكورة هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة ، أم هي في يوم القيامة على جميع العالم؟ فقال الجمهور هي في الدنيا والضمير في { ترونها } عائد عندهم على الزلزلة وقوى قولهم إن الرضاع والحمل إنما هو في الدنيا .

وقال في التسهيل : واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة، أو بعد أن تقوم القيامة، والأرجح أن ذلك قبل القيامة، لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة، ووضع الحامل لا بعد القيامة.

وتكون إضافتها إلى الساعة على هذا لكونها من إمارتها .

وقال آخرون : بل ذلك هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور .

واختاره : ابن جرير ، والشنقيطي .

لحديث أبي سعيد الخدري ، قال : قال النَّبي (يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدمُ ، فيقول : لبيك ربَّنا وسعديك ، فَيُنادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ، قال : يا رب ، وما بعث النار؟ قال : من كل ألف أراه ، قال تسعمائه وتسعة وتسعين ، فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس ، حتى تغيرت وجوههم ، فقال النَّبي ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد ، وأنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبرنا ثم قال : ثلث أهل الجنة ، فكبرنا ثم قال : شطر أهل الجنة ، فكبرنا).

وَقالَ تَعَالَى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) .

أي : ولمن خاف قيامَ الله عليه بالاطلاع عليه ومراقبته له وقدرته عليه له في كل حال (جنتان) يتنعم فيهما .

وَقالَ تَعَالَى (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ).

(**وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**) أي : أقبل أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا ، عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا ، تلذذا بالحديث ، واعترافا بالنعمة

(**قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين**) أي : قال المسئولون : إنا كنا في دار الدنيا خائفين من ربنا ، مشفقين من عذابه وعقابه ، (**فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم**) أي : فأكرمنا الله بالمغفرة وبدخول الجنة، وأجارنا مما نخاف، وحمانا من عذاب جهنم، النافذة في المسام نفوذ الريح الحارة الشديدة، وهي التي تسمى [السموم] .

ففي هذه الآية فضل الخوف من الله : لأن الخوف من العذاب أصل التقوى كلها ، لأنه يدخل فيه خوف التقصير في الطاعة ، وخوف ملابسة المعصية .

في هذه الآيات التي ذكرها المصنف – رحمه الله – وجوب الخوف من الله . **وللخوف من الله فضائل:**

أولاً: أنه من علامات الإيمان.

قال تعالى (فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

ثانياً: مدح الله أنبياءه بالخوف منه.

كما قال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).

ثالثاً: الخوف من الله يجعل الإنسان في ظل العرش يوم القيامة.

ذكر النبي ﷺ في حديث السبعة (ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) فالخشية الموجبة لدمع العين تؤدي إلى أن النار لا تمس العين يوم القيامة.

رابعاً: الخوف سبب للنجاة من كل سوء

قال ﷺ (ثلاث منجيات: وذكر منها: خشية الله تعالى في السر والعلانية).

خامساً: أثنى الله على ملائكته بشدة خوفهم منه.

كما قال تعالى (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ).

سادساً: من صفات الرجال العظماء.

قال تعالى (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ).

سابعاً: من صفات الأبرار خوفهم من عدم القبول.

قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أي: والذين يعطون ويعملون ويخافون أن لا يتقبل منهم.

ثامناً: وعد الله الخائفين الجنة.

كما قال تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ).

تاسعاً: أنه من صفات نبينا محمد ﷺ وأصحابه.

قال ﷺ (إني أخشاكم لله وأتقاكم له) رواه مسلم.

وعن أنس قال (خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين) متفق عليه.

عاشراً: من أسباب النجاة من النار.

قال ﷺ (عينان لا تمسهما النار: عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله) رواه الترمذي.

وقد قال ﷺ (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة).

الحادي عشر: الخوف سبب للبعد عن المعاصي.

قال تعالى (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ).

قال بعض السلف: إذا سكن الخوف في القلب أحرق موضع الشهوات منه.

الثاني عشر: سبب في إخلاص العمل لله.

قال تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً).

الثالث عشر: سبب لعلو الهمة في العبادة.

قال تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ).

الرابع عشر: الخوف يجعل العبد سائراً على طريق الهداية.

قال ذو النون المصري: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.

الخامس عشر: الخوف يضفي المهابة على صاحبه.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق.

السادس عشر: الخوف من أسباب قبول الدعاء:

قال تعالى (وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين).

السابع عشر: الخوف من أسباب الانتفاع بكلام الله تعالى.

قال تعالى (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد).

- من أقوال السلف:

قال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف من الله.

وقال عامر بن قيس: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

وحين سئل عطاء السليمي: ما هذا الحزن؟ قال ويحك؟ الموت في عنقي، والقبر بيتي، وفي القيامة موقفي، وعلى جسر جهنم طريقي، لا أدري ما يصنع بي؟

وقال الفضيل: من خاف الله دله الخوف على كل خير.

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وقال السبكي رحمه الله: ما خفت الله يوما، إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط.

وقال حكيم: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يقوي على الطاعة، وذكر الموت يزهد في الفضول.

وقال الحسن: الرجا والخوف مطيتا المؤمن.

وقال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن).

وأما الأحاديث فكثيرة جدًا فنذكر مِنْهَا طرفًا وبالله التوفيق:

٣٩٦ – عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: حدثنا رَسُول الله ﷺ وَهُوَ الصادق المصدوق (إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أربَعِينَ يومًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لاَ إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيدْخُلُهَا، وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(**عن ابن مسعود**) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، كان سادس رجل في الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، قال له النبي ﷺ في أول الإسلام (إنك غلام معلَّم) وروى البخاري عنه أنه قال: (والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة...) وقال النبي ﷺ (من أحبّ أن يقرأ القران غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد).
وكان ممن يخدم النبي ﷺ ، وهو صاحب سواكه ونعليه ووساده، قال حذيفة ﷺ (ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلًّا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد) .
تولى القضاء وبيت المال في الكوفة على عهد عمر ﷺ وصدراً من خلافة عثمان، ثم دعاه إلى المدينة، ومات فيها سنة: ٣٢ هـ.
(**الصادق**) فِي قَوْله .
(**المصدوق**) فِيمَا يَأْتِي مِنْ الْوَحْي الْكَرِيم .
(**إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ**) المراد بالجمع: ضمّ بعضه إلى بعض بعد الانتشار .
(**أربَعِينَ يومًا نُطْفَةً**) المراد بالنطفة المني .
(**ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ**) العلقة هي الدم الجامد الغليظ.
(**ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ**) هذا الطور الثالث الذي يمر به الجنين، والمضغة هي مضغة من لحم، وسميت بذلك لأنها قدر ما يمضغ الماضغ .
(**ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ**) وفي رواية للبخاريّ: (ثم يبعث الله ملكًا) أي: يبعث الله إليه المَلَك في الطور الرابع حينما يتكامل بنيانه، وتتشكّل أعضاؤه، فيعيّن، ويُنقش فيه ما يليق به من الأعمال والأعمار والأرزاق حسبما اقتضته حكمته، وسبقت كلمته .
(**وَيُؤْمَرُ بِأرْبَعِ كَلِمَاتٍ**) أي: يؤمر بكتب أربعة أشياء من أحوال الجنين ، والمراد بالكلمات: القضايا المقدرّة، وكل قضيّة تسمى كلمة .
(**بِكَتْبِ رِزْقِهِ**) المراد من كتابة الرزق: تقديره قليلًا أو كثيرًا، وصفته حرامًا، أو حلالًا .
(**وَأجَلِهِ**) أي : هل هو طويل أو قصير .
(**وَعَمَلِهِ**) أي : هل هو صالح، أو فاسد .
(**وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**) أي : أن الملك يكتب إحدى الكلمتين، كأن يكتب مثلًا: أجل هذا الجنين كذا، ورزقه كذا، وعمله كذا، وهو شقيّ باعتبار ما يُختم له، وسعيد باعتبار ما يُختم له، كما دل عليه بقية الخبر .
وأما صفة الكتابة: فظاهر الحديث أنها الكتابة المعهودة في صحيفته، ووقع ذلك صريحًا في حديث حذيفة بن أَسِيد عند مسلم (ثم تطوى الصحيفة، فلا يزاد فيها، ولا ينقص) وفي رواية الفريابيّ (ثم تُطْوَى تلك الصحيفة إلى يوم القيامة) .

(**إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ**) يعني: من الطاعات الاعتقادية، والقولية، والفعلية .

(**حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ**) والتعبير بالذراع تمثيل بقرب حاله من الموت، فيحال مَن بينه وبين المكان المقصود بمقدار ذراع، أو باعٍ من المسافة . (قاله في الفتح) .

١-هذا حديث عظيم جليل .

قال ابن الملقن : لو أمعن الأئمة النظر في هذا الحديث كله من أوله إلى آخره، لوجدوه متضمنًا لعلوم الشريعة كلها ظاهرها وباطنها

وقال ابن حجر الهيتمي : هو حديث عظيم جليل، يتعلق بمبدأ الخلق ونهايته، وأحكام القدر في المبدأ والمعاد .

وقال الجرداني : هذا الحديث حديث عظيم جامع لجميع أحوال الشخص؛ إذ فيه بيان حال مبدئه وهو خلقه، وحال معاده وهو السعادة أو الشقاء، وما بينهما وهو الأجل، وما يتصرف فيه وهو الرزق .

٢-في هذا الحديث ذكر النبي ﷺ أطوار الجنين في بطن أمه، وأنه يتقلب في بطن أمه مائة وعشرون يوماً في ثلاثة أطوار، فيكون في الأربعين الأولى نطفة، ثم في الأربعين الثانية علقة، ثم في الأربعين الثالثة مضغة .

قال تعالى في كتابه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ).

٣-الحديث دليل على أن كتابة المقادير تكون بعد الأربعين الثالثة .

لكن جاء في حديث حذيفة بن أَسِيد عند مسلم، أن الكتابة بعد الأربعين الأولى، في بداية الأربعين الثانية .

قال ﷺ (إذا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكاً فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ. قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُه ..).

وقد اختلف العلماء في الجمع بين ذلك على أقوال:

القول الأول: فذهب طائفة إلى أن الكتابة تكون في الأربعين الأولى.

وقالوا يشهد لهذا ما روي عن عدد من الصحابة منهم عبد الله بن عمرو، وأبو ذر، أنها بعد الأربعين.

وقالوا: إنما تأخر ذكرها في حديث ابن مسعود إلى ما بعد ذكر المضغة لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة التي يتقلب فيها الجنين فإن ذكرها على نسق واحد، أعجب و أحسن.

القول الثاني: إن ذلك يختلف باختلاف الأجنة فبعضهم على ما في حديث ابن مسعود وبعضهم على ما في حديث حذيفة.

وإلى هذا مال ابن رجب .

القول الثالث : أن الأحاديث المروية عن النبي ﷺ قد دلت على أن كتابة المقادير في الرحم مرتين اثنتين:

أولاهما: بعد الأربعين الأولى، في بداية الأربعين الثانية، كما في حديث حذيفة عند مسلم.

وثانيهما: بعد الأربعين الثالثة كما جاء في حديث ابن مسعود هذا.

وهذا القول هو الذي تجتمع به الأحاديث المتعارضة .

وإلى هذا ذهب القاضي عياض ، وابن الصلاح ، واختار هذا القول ابن القيم ونصره.

٤-أن نفخ الروح يكون بعد تمام أربعة أشهر ، لقوله : ثم يرسل إليه الملك ... .

وينبني على هذا :

أولاً : أنه إذا سقط بعد نفخ الروح فيه فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين .

ثانياً : أنه يحرم إسقاطه .

٥-الحديث دليل على أن من الملائكة من هو موكل بالنفخ في الأجنة ، والمراد الملَك الموكل بالرحم .

ففي حذيفة بن أَسِيد من رواية ربيعة بن كلثوم (أن ملكًا موكلًا بالرحم) .

ومن رواية عكرمة بن خالد (ثم يتسوَّر عليها الملَك الذي يُخَلِّقها) وهو بتشديد اللام .

وفي رواية أبي الزبير عند الفريابي (أتى ملك الأرحام) وأصله عند مسلم، لكن بلفظ (بعث الله ملكًا) .

٦-كثرة الملائكة .

فالملائِكة خَلقٌ كثيرٌ لا يعلَمُ عَدَدَهم إلَّا اللهُ تعالى.

أ-قال الله عَزَّ وجَلّ (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) .

قال ابنُ جريرٍ: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ مِن كَثرتِهم إِلَّا هُوَ يعني اللهَ .

وقال ابنُ كثيرٍ: أي: ما يعلَمُ عَدَدَهم وكَثْرَتَهم إلَّا هو تعالى؛ لئلَّا يتوهَّمَ متوَهِّمٌ أنَّهم تِسعةَ عَشَرَ فقط، كما قد قاله طائفةٌ من أهلِ الضَّلالةِ والجَهالةِ ومِن الفلاسِفةِ اليونانيّين. ومن تابعهم من المِلَّتين الذين سمعوا هذه الآيةَ، فأرادوا تنزيلَها على العُقولِ العَشَرة والنُّفوسِ التِّسعةِ التي اخترعوا دعواها وعَجَزوا عن إقامةِ الدَّلالةِ على مُقتضاها .

ب-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ في حديث الإسراء : (ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ المعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ المعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِم) رواه مسلم .

قال النوويّ : وفي هذا أعظَمُ دليلٍ على كثرةِ الملائِكةِ صَلَواتُ اللهِ وسلامُه عليهم. واللهُ أعلمُ .

وقال ابنُ حَجَرٍ : استُدِلَّ به على أنَّ الملائِكةَ أكثَرُ المخلوقاتِ؛ لأنَّه لا يُعرَفُ مِن جميعِ العوالِمِ من يتجَدَّدُ من جنسِه في كُلِّ يومٍ سبعون ألفًا غيرُ ما ثبت عن الملائِكةِ في هذا الخَبرِ .

ج- وممَّا يدُلُّ على كثرتِهم ما رواه عبدُ اللهِ بنُ مَسعود، عن نبيِّ اللهِ ﷺ فقال (يؤتى بجهَنَّمَ يومَئذٍ لها سبعون ألفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زمامٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ يجرُّونَها) رواه مسلم .

قال ابنُ تَيميَّةَ : ومَلائِكةُ اللهِ لا يُحصي عَدَدَهم إلَّا اللهُ .

ج-وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّه) رواه الترمذي .

والملائكة كثيرون، وكل له عمل خاص به :

فمنهم الموكل بالوحي، وهو جبريل .

قال الله تعالى (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) .

وقال الله تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) .

ومنهم الموكل بالقَطْر، وهو ميكائيل .

قال ابن كثير: أما ميكائيل فموكل بالقَطْر، والنبات، وهو ذو مكانة من ربه عز وجل، ومن أشراف الملائكة المقربين .

وقال أيضاً: ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يُخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلال

ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، وهو إسرافيل .

قال ابن كثير: إسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور .

ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت.

قال الله تعالى (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون) .

قال ابن كثير : أما ملك الموت فليس بمصرَّح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح... وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم .

ومنهم حملة العرش:

قال الله تعالى فيهم (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيم) .

وقال الله تعالى (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَام) .

ومنهم الموكلون بفتنة القبر، وهم المنكر والنكير.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ – أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ– أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِير) رواه الترمذي .

ومنهم خزنة الجنة.

قال الله تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِين) .

تنبيه :

لم يثبت من أسماء الملائكة إلا ثمانية:

جبريل، وميكال وإسرافيل عليهم السلام .

ففي حديث عائشة في قيام النبي ﷺ بالليل كان يقول (اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) رواه مسلم .

هاروت وماروت عليهما السلام .

ذكرهما الله جل جلاله في قوله (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) .

ومالك خازن النار عليه السلام .

ذكره الله في قوله جل جلاله (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُون) .

والمنكر، والنكير عليهما السلام .

ذكرهما النبي ﷺ في قوله (إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ –أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ– أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِير).

أما غير هذه الأسماء، فإما صفات، كرقيب، وعتيد.

وإما ورد باسم وظيفته، كملك الموت، وملك الجبال.

وإما ورد في أحاديث ضعيفة، وموضوعة، كعزرائيل، وكرضوان .

٧-الحديث دليل على أن الملائكة عبيد يؤمرون وينهون ، والملائكة عملهم عبادة الله وطاعته:

قال تعالى (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ).

وقال تعالى (وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ).

وقال تعالى (لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ).

٨-هذه الكتابة التي تُكتب للجنين في بطن أمه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلق المذكورة في قوله تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا).

وأقسام التقدير أربع:

الأول: التقدير العام لجميع الأشياء في اللوح المحفوظ.

قال تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا).

قال تعالى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

وعن عبد الله بن عمرو . عن النبي ﷺ قال (إن الله كتب مقادير السموات والأرض قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال (أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة). رواه أبو داود

وقد تكاثرت النصوص بذكر الكتاب السابق بالسعادة والشقاوة.

فعن عمران بن حصين. قال: قال رجل: يا رسول الله! أيُعرف أهلُ الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعملُ لما خُلقَ له، أو لما يُيسر له) متفق عليه.

الثاني: التقدير العمري.

كما في حديث الباب.

(وهذا التقدير يختلف عن التقدير الذي في اللوح المحفوظ بأن التقدير العمري يقبل التغيير والمحو، وأما الذي في اللوح المحفوظ فإنه لا يقبل التغيير، بمعنى أن ما كتبه الله في اللوح المحفوظ لا يقبل المحو ولا التغيير).

قال تعالى (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ).

قال السعدي : (يمحو الله ما يشاء ويثبت) يمحو الله ما يشاء من الأقدار ويثبت ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه، وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَاب) أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع وشعب، فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب.

ولهذا كان عمر يقول: اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً.

وهذا يعني به الكتابة في صحف الملائكة لا الذي في اللوح المحفوظ.

الثالث: التقدير السنوي وذلك يكون في ليلة القدر.

ففيها يكتب من أم الكتاب ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر.

قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين).

الرابع: التقدير اليومي.

ويدل عليه قوله تعالى (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ).

٩-الحديث دليل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، لقوله تعالى: ويؤمر بكتب أربع كلمات: بكتب رزقه وأجله ... ، فكل شيء مكتوب ومفروغ منه.

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع مراتب :

أولاً: الإيمان بأن الله علم بكل شيء جملة وتفصيلاً ، أزلاً وأبداً.

قال تعالى (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وقال تعالى (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً).

ثانياً: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

كما قال تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا).

وقال ﷺ (إن الله كتب مقادير السموات والأرض قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة) رواه مسلم.

وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى.

قال تعالى (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) وقال تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً).

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله.

قال تعالى (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ).

١٠-قوله (بكتب رزقه) فيه دليل على وجوب التوكل على الله، وعدم الخوف من الفقر، لأن الرزق مكتوب.

قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) .

وقال تعالى (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُون) .

وصحَّ عنه ﷺ من حديث أبي الدرداء أنه قال (إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجلُه) .

وقال ﷺ (إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم) .

وقوله ﷺ (يا أبا هريرة، جف القلم بما أنت لاقٍ) .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ) رواه ابن ماجه .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ، إِلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، إِلاَّ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ رواه ابن أبي شيبة ، والبيهقي في "الشعب" .

وعن أُم حَبِيبَة زَوْجُ النَّبِيِّ أنها قالت (اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئاً قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئاً عَنْ حِلِّهِ وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْراً وَأَفْضَلَ) رواه مسلم.

فما كُتب للعبد مِن رِزق وأجل، فلا بد أن يستكمله قبل أن يموت .

عن جابر أن النبي ﷺ قال (لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الموْتِ، لأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كما يُدْرِكُهُ الموْتُ) .

قال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع.

وسئل أبو حازم فقيل له: ما مالك؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي.

وسئل الحسن البصري عن سر زهده في الدنيا؟ فقال: أربعة أشياء: علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني عاصياً، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي.

قال بعض السلف: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت على الكفر، وقلب فيه خوف الفقر.

وعلى هـــــذا :

أ-يجب الإيمان بأن الرزق مكتوب ، لا يجلبه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره .

ب-أن هذا لا يمنع فعل الأسباب التي شرع الله لعباده الأخْذ بها .

ج-أن يسعى العبد في طلب الرزق الحلال ، وأن يجتنب الحرام .

د-أن لا يطلب الرزق بجشع وحرص .

١١-قوله (وَأَجَلِهِ ..) فيه الحث على العمل الصالح والإكثار منه ، لأن الإنسان لا يدري متى يأتيه الموت .

فالإنسان لا يدري متى يفاجئه الموت .

كما قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

وقال ﷺ (بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلى فقْراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو موتاً مجهزاً ...) رواه الترمذي وفيه ضعف.

وقال ﷺ (اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك) .

تزود من الدنيا فإنك لا تدري ------ إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة ------ وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا ------ وأكفانه في الغيب تنسج وهو لا يدري

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ------ وقد أدخلت أجسامهم ظلمة القبر

وكم من عروس زينوها لزوجها ------ وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

فمن عاش ألفاً وألفين------ فلا بد من يوم يسير إلى القبر

ولهذا يتمنى الإنسان العمل الصالح عند احتضاره :

وقال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ...) .

وقال تعالى (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

ولهذا ينبغي للمسلم المسارعة إلى الخيرات .

كما قال تعالى (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ).

وقال تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

وقال تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً).

وقال تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون).

١٢-أن الناس ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما : شقي ، أو سعيد .

قال تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) .

وقال تعالى (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ...) .

وقال سبحانه (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ...) .

١٣-التحذير من سوء الخاتمة .

والْمَقْصُودُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ : أَنْ يَمُوتَ الْعَبْدُ عَلَى حَالَةٍ سَيِّئَةٍ؛ مِنْ كُفْرٍ، أَوْ جُحُودٍ، أَوْ شَكٍّ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ لَهُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ. وَأَدْنَى مِنْهُ: أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِمَعْصِيَةٍ، أَوْ مُصِرٌّ عَلَيْهَا بِقَلْبِهِ، وَالْمَرْءُ يُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) رواه مسلم .

زاد أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة (سبعين سنةً) .

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ، حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ " يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) رواه أحمد .

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ .... الحديث) رواه أحمد .

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي قَالَ (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ». فَقُلْنَا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ أَنْ تُخْبِرَنَا. فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». فَقَالَ أَصْحَابُهُ فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَقَالَ «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا ثُمَّ قَالَ «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) رواه الترمذي.

وعن سهل بن سعد . قال : قال ﷺ (إنما الأعمال بالخواتيم) رواه البخاري .

وقد كان السلف رحمهم الله يخافون من سوء الخاتمة .

كان مالك بن دينار، يقوم طول ليله قابضاً على لحيته، ويقول : يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك.

وبكى بعض الصحابة عند موته ، فسئل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين فقال : هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار) ولا أدري في أي القبضتين كنت .

وقال أبو الدَّرداء: "ما أحدٌ أَمِنَ على إيمانه أَلَّا يُسْلَبَهُ عند الموت؛ إلا سُلِبَهُ .

ولما حضرتِ الوفاةُ سفيانَ الثَّوري رحمه الله جَعَل يبكي؛ فقال له رجلٌ: "يا أبا عبد الله، أَمِنْ كَثْرَةِ الذُّنوب؟"؛ فقال: "لا، ولكن أخاف أنْ أُسْلَبَ الإيمانَ قبل الموت .

فمِن هذا خاف السَّلف مِن الذنوب؛ أن تكون حجابًا بينهم وبين الخاتمة الحسنة.

قال ابن القيِّم : وهذا مِن أعْظم الفِقه؛ أنْ يخاف الرجل أن تَخْدَعَهُ ذنوبه عند الموت، فتَحُولُ بينه وبين الخاتمة الحُسْنى .

فيجب الحذر من سوء الخاتمة .

ولعل من أعظم أسبابها : مُخَالَفَةُ الْبَاطِنِ لِلظَّاهِرِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ – فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ – وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) .

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ (فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ) فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَاطِنَهُ خِلَافُ ظَاهِرِهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَسُوءَ خَاتِمَةُ مَنْ صَلُحَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ.

فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ بِظَاهِرِهِ مُطِيعًا لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُ يُبْطِنُ النِّفَاقَ، أَوِ الرِّيَاءَ، أَوْ تَكُونُ فِي قَلْبِهِ دَسِيسَةٌ مِنْ دَسَائِسِ السُّوءِ؛ كَالْكِبْرِ أَوِ الْعُجْبِ، فَيَظْهَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَيُخْتَمُ لَهُ بِهِ، فَتَكُونُ الْخَسَارَةُ الْأَبَدِيَّةُ، وَالْهَلَاكُ الْأُخْرَوِيُّ .

كَمَا فِي قِصَّةِ الَّذِي كَانَ يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُبْلِي بَلَاءً حَسَنًا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى، أَوْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَانْتَحَرَ!

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ (شَهِدْنَا خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ، انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ: «قُمْ يَا فُلَانُ! فَأَذِّنْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قال ابن رجب : إن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك ، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت .

ومنها : لْإِصْرَارُ عَلَى الْمَعَاصِي:

فَمَنْ أَلِفَ الْمَعْصِيَةَ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ حَتَّى فِي اللَّحَظَاتِ الْأَخِيرَةِ، فَإِذَا أَرَادَ مَنْ حَوْلَهُ أَنْ يُلَقِّنُوهُ الشَّهَادَةَ، طَغَتِ الْمَعْصِيَةُ عَلَى تَفْكِيرِهِ، فَتَكَلَّمَ بِمَا يُفِيدُ اشْتِغَالَهُ بِهَا، وَخُتِمَ لَهُ بِالسُّوءِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ – فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي: (وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنْ يَخُونَهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ – عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، وَالِانْتِقَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى – فَرُبَّمَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ؛ كَمَا شَاهَدَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْمُحْتَضَرِينَ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ .

حَتَّى قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: "قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَقَالَ: "آهْ آهْ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهَا!".

وَقِيلَ لِآخَرَ: "قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَجَعَلَ يَهْذِي بِالْغِنَاءِ وَيَقُولُ: "تَاتِنَا تِنِنْتَا!"، حَتَّى قَضَى.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: "وَمَا يَنْفَعُنِي مَا تَقُولُ، وَلَمْ أَدَعْ مَعْصِيَةً إِلَّا رَكِبْتُهَا"، ثُمَّ قَضَى وَلَمْ يَقُلْهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: "وَمَا يُغْنِي عَنِّي، وَمَا أَعْرِفُ أَنِّي صَلَّيْتُ لِلَّهِ صَلَاةً!" ثُمَّ قَضَى، وَلَمْ يَقُلْهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: "هُوَ كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ!"، وَقَضَى.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: "كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا لِسَانِي يُمْسِكُ عَنْهَا . (الجواب الكافي) .

ومنها : الكِبْرُ والعُجْبُ:

قال تعالى (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَق) .

وقال تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

قال ابْنُ القَيِّم : وإذا نظرتَ إلى حال كثير مِن المحتضَرين: وَجَدْتَهم يُحال بينهم وبين حُسْن الخاتمة؛ عقوبةً لهم على أعمالهم السيئة

قال ابن كثير : والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له؛ فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان؛ فيقع في سوء الخاتمة .

وقال ابن قُدامةَ رحمه الله : وإذا عرفتَ معنى سوء الخاتمة؛ فاحذرْ أسبابَها، وأَعِدَّ ما يصلح لها، وإيَّاك والتَّسويف بالاستعداد؛ فإنَّ العمرَ قصيرٌ، وكلَّ نَفَسٍ مِن أنفاسك بمنزلة خاتمتِكَ؛ لأنه يُمْكن أنْ تُخطَف فيه رُوحُكَ، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويُحْشَرُ على ما مات عليه .

وقال المزني : دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنيّة شارباً، ولعملي مفارقاً، وعلى الله وارداً، ثم بكى وقال: لا أدري أتصير روحي إلى الجنة فأُهنّيها، أم إلى النار فأُعزّيها؟!!

ولما حضرت الإمام الصالح محمد بن سيرين الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلة عملي للجنة العالية، وما ينجيني من النار الحامية.

قال الإمام الغزالي رحمه الله : الخاتمة غير معلومة... وخطر الخاتمة باقٍ، ففي الخوف من سوء الخاتمة شغلٌ عن الفرح بكل ما في الدنيا".

وقال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: "للنفوس الخيرة علامات: الجد في الغالب، والحذر من الزَّلل، والاحتقار للعمل، والقلق من خوف السابقة، والجزع من حذر الخاتمة .

١٤-قال ابن بطَّال : وفي تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمةٌ بالغة، وتدبيرٌ لطيفٌ؛ لأنه لو علِم وكان ناجيًا أُعْجِبَ وكسل، وإنْ كان هالكًا ازداد عُتُوًّا، فحُجِبَ عنه ذلك؛ ليكون بين الخوف والرجاء"

١٥-استحباب دعاء الله بالثبات على الإيمان .

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) رواه مسلم .

وعَنْ أَنَس قَالَ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ «نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاء) رواه الترمذي .

١٦-قال القرطبي : فيستفاد من هذا الحديث الاجتهاد في إخلاص الأعمال لله تعالى، والتحرز من الرياء، ويستفاد من حديث ابن مسعود تَرْك العُجْب بالأعمال، وترك الالتفات، والركون إليها، والتعويل على كرم الله تعالى، ورحمته، والاعتراف بمنّته، كما قال ﷺ: لن يُنْجي أحدًا منكم عمله ... . (المفهم) .

١٧-قوله (إنَّ أَحَدكُمْ لِيَعْمَل بِعَمَلِ أَهْل الْجَنَّة حَتَّى مَا يَكُون بَيْنه وَبَيْنهَا إِلَّا ذِرَاع، فَيَسْبِق عَلَيْهِ الْكِتَاب، فَيَعْمَل بِعَمَلِ أَهْل النَّار، فَيَدْخُلهَا . وَإِنَّ أَحَدكُمْ لِيَعْمَل بِعَمَلِ أَهْل النَّار إِلَخْ)

قال النووي : ... وَالْمُرَاد بِهَذَا الْحَدِيث أَنَّ هَذَا قَدْ يَقَع فِي نَادِر مِنْ النَّاس ، لَا أَنَّهُ غَالِب فِيهِمْ ، ثُمَّ أَنَّهُ مِنْ لُطْف اللَّه تَعَالَى وَسَعَة رَحْمَته اِنْقِلَاب النَّاس مِنْ الشَّرّ إِلَى الْخَيْر فِي كَثْرَة ، وَأَمَّا اِنْقِلَابهمْ مِنْ الْخَيْر إِلَى الشَّرّ فَفِي غَايَة النُّدُور ، وَنِهَايَة الْقِلَّة ، وَهُوَ نَحْو قَوْله تَعَالَى (إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَغَلَبَتْ غَضَبِي) وَيَدْخُل فِي هَذَا مَنْ اِنْقَلَبَ إِلَى عَمَل النَّار بِكُفْرٍ أَوْ مَعْصِيَة ، لَكِنْ يَخْتَلِفَانِ فِي التَّخْلِيد وَعَدَمه ؛ فَالْكَافِر يُخَلَّد فِي النَّار ، وَالْعَاصِي الَّذِي مَاتَ مُوَحِّدًا لَا يُخَلَّد فِيهَا كَمَا سَبَقَ تَقْرِيره . (نووي) .

١٨-قال العلامة ابن باز رحمه الله: من سنته في عباده جل وعلا أن من اتَّقاه واستقام على أمره عن إيمان، وعن إخلاص وصدق، فالله جل وعلا يحسن له الختام؛ فضلًا منه وإحسانًا، وهذا من جنس قوله تعالى (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) .

وقال العلامة محمد العثيمين رحمه الله: كيف يستطيع الإنسان ألَّا يموت إلا وهو مسلم؟ الجواب: يستطيع ذلك، بأن يثابر على العمل الصالح في حياته، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يخذل شخصًا أمضى عمره في طاعة الله، فإذا نشأ الإنسان في طاعة الله، ومرَّن نفسه على الطاعة، فإن الله يشكر له، حتى يحسن له الخاتمة .

١٩-الحذر من أن يغتر الإنسان بعمله الصالح .

٢٠-قرب الجنة والنار من العبد .

وقال ﷺ: (إن الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك) .

٢١-أن الشقاء والسعادة لا يعلمهما أحد إلا الله عز وجل.

٢٢-فيه تنبيه على أن البعث حق؛ لأن مَن قدَر على خلق الإنسان من ماء مهين قادر على إعادته .

٣٩٧ – وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا».

رواه مسلم.

==========

(**يُؤتَى بِجَهَنَّمَ**) قال النوويّ: جهنم اسم لنار الآخرة، وسُمّيت بذلك؛ لِبُعد قعرها، قال روبة: يقال: بئر جِهِنّام؛ أي: بعيدة القعر، وقيل: مشتقة من الجهومة، وهي الغِلَظ، يقال: جهنم الوجه؛ أي: غليظة، فسمّيت جهنم؛ لِغِلَظ أمرها.

(**يَومَئذٍ**) يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة .

(**لَهَا سَبْعُونَ أَلفَ زِمَامٍ**) بكسر الزاي، وهو ما يُشدّ به .

قال القرطبي والزمام ما يُزمّ به الشيء؛ أي: يُشدّ، ويُربط .

(**مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**) أي : يسحبونها .

١-الحديثِ دليل على عِظَمُ خَلْقِ النَّارِ، أعاذَنا اللهُ تعالَى منها.

٢-الحديث دليل على الترهيب مِن جهنَّمَ ببَيانِ هَولِ صِفتِها حتَّى يَرتدِعَ كلُّ مَن كان له قَلبٌ.

٣-قال القرطبيّ رحمه الله: قوله: "يؤتى بجهنم إلخ" قد تقدَّم: أن جهنم اسم عَلَم لنار الآخرة، وكذلك: سقر، ولها أسماء كثيرة- أعاذنا الله منها-؛ يعني: أنها يجاء بها من المحل الذي خلقها الله فيه، فتُدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، والزمام: ما يُزمّ به الشيء؛ أي: يُشدّ، ويُربط، وهذه الأزمّة التي تساق جهنّم بها أيضًا تمنع من خروجها على أهل المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أُمرت بأخذ من شاء الله أخذه، وملائكتها- كما وصفهم الله تعالى (عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)، وأما هذا العدد المحصور للملائكة فكأنه عدد رؤسائهم ، وأما جملتهم، فالعبارة عنها ما قال الله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) .

٤-بيان عدد الملائكة الذين يجرون جهنم.

٥-تخويف الله لعباده ليتقوه ويعبدوه.

٣٩٨ – وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَأَنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

٣٩٩ – وعن سمرة بن جندب ﷺ: أَنَّ نبيَّ الله ﷺ قَالَ (مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ) رواه مسلم.

==========

(**في أخمص قدميه**) هو المتجافي من الرجل عن الأرض .

(**الحُجزةُ**) مَعْقِدُ السَّراويلِ والإزارِ.

(**التَّرْقُوةُ**) هي العَظمُ الَّذي بينَ ثَغرةِ النَّحرِ والعاتِقِ .

١-هذه الأحاديث دليل على أن عذاب أهل النار متفاوت .

قال القرطبي : هذا الحَديثُ أيضًا يَدُلُّ على أنَّ أهلَ النَّارِ يَتَفاوتُونَ فيها .

وقال القُرطُبيُّ: هذا البابُ يَدلُّكَ على أنَّ كُفرَ مَن كَفرَ فقَط ليسَ كَكُفرِ مَن طَغى وكَفرَ وتَمرَّدَ وعَصى، ولا شَكَّ أنَّ الكُفَّارَ في عَذابِ جَهَنَّم مُتَفاوِتُون كَما قَد عُلِمَ مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ، ولَأنَّا نَعلَمُ على القَطْعِ والثَّباتِ أنَّه ليسَ عَذابُ مَن قَتلَ الأنبياءِ والمسلِمينَ وفَتَكَ فيهم وأفسَدَ في الأرضِ وكَفرَ مُساويًا لِعَذابِ مَن كَفرَ فقَط وأحسَنَ لِلأنبياءِ والمسلِمينَ، ألا تَرى أبا طالِبٍ كيفَ أَخرَجَه النَّبيُّ ﷺ إلى ضَحضاحٍ لِنُصرَتِه إيَّاه، وذَبِّه عَنه وإحسانِه إليه؟ وحَديثُ مُسلِمٍ عَن سَمُرةَ يَصِحُّ أن يَكُونَ في الكُفَّارِ بدَليلِ حَديثِ أبي طالِبٍ، ويَصِحُّ أن يَكُونَ فيمَن يُعذَّبُ مِنَ الموحِّدينَ .

وقال ابنُ رَجَبٍ: اعلَمْ أنَّ تَفاوُتَ أهلِ النَّارِ في العَذابِ هو بحَسَبِ تَفاوُتِ أعمالِهِم الَّتي دَخَلُوا بها النَّارَ كَما قال تعالى: وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا، وقال تعالى: جَزَاءً وِفَاقًا. قال ابنُ عَبَّاسٍ: وافَقَ أعمالَهم، فليسَ عِقابُ مَن تَغَلَّظَ كُفرُه، وأفسَدَ في الأرضِ، ودَعا إلى الكُفْرِ، كَمَن ليسَ كَذَلِكَ، قال تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) .

وقال تعالى (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) .

٢-وأهونُ أهلِ النَّارِ عَذابًا مِنَ المقيمينَ فيها أبَدًا فلا يَخرُجُونَ مِنها هو أبُو طالِبٍ عَمُّ النَّبيِّ ﷺ .

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال (أهونُ أهلِ النَّارِ عَذابًا أبُو طالِبٍ، وهو مُتَنَعِّلٌ بنَعلينِ يَغلي مِنهما دِماغُه).

(أهونُ أهلِ النَّارِ عَذابًا) أي مِنَ الكُفَّارِ (أبُو طالِبٍ) لِقَولِه تعالى في حَقِّه باتِّفاقِ المفَسِّرينَ: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ (وهو مُنتَعِلٌ) أي: مُتَلَبِّسٌ (بنَعلينِ) أي: مِن نارٍ .

وإنَّما خَفَّفَ عَذابَه لِكَونِه حاميًا لَه ﷺ عَن تَشديدِ عَداوةِ الكُفَّارِ، فلَمَّا خَفَّفَ خُفِّفَ جَزاءً وِفاقًا .

وعَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ ﷺ أنَّه سَمِعَ رَسولَ اللهِ ﷺ وذُكِرَ عِندَه عَمُّه أبُو طالِبٍ، فقال (لَعَلَّه تَنفَعُه شَفاعتي يَومَ القيامةِ فيُجعَلُ في ضَحضاحٍ مِنَ النَّارِ يَبلُغُ كَعْبَيه، يَغلي مِنه أمُّ دِماغِه) .

قال أبُو العَبَّاس القُرطُبِيُّ: قَولُه (لَعَلَّه تَنفَعُه شَفاعتي يومَ القيامةِ) هذا المتَرَجَّى في هذا الحَديثِ قَد تَحَقَّقُ وُقُوعُه؛ إذ قال النَّبيُّ ﷺ: وجَدْتُه في غَمَراتٍ فأخرَجْتُه إلى ضَحضاحٍ، فكَأنَّه لَمَّا تَرجَّى ذَلِكَ أُعطِيَه وحُقِّقَ لَه فأخبَرَ به .

وعَنِ النُّعمانِ بن بَشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال (إنَّ أهونَ أهلِ النَّارِ عَذابًا مَن لَه نَعلانِ وشِراكانِ مِن نارٍ، يَغلي مِنهما دِماغُه، كَما يَغلي الْمِرْجَلُ، ما يَرى أنَّ أحَدًا أشَدُّ مِنه عَذابًا، وإنَّه لَأهونُهم عَذابًا) .

٣-والمنافِقُونَ في الدَّركِ الأسفَلِ مِنَ النَّارِ.

قال اللهُ تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) .

قال ابنُ جَريرٍ: يَعني جَلَّ ثَناؤُه بقَولِه: إنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ إنَّ المنافِقينَ في الطَّبَقِ الأسفَلِ مِن أطباقِ جَهَنَّم. وكُلُّ طَبَقٍ مِن أطباقِ جَهَنَّم دَرَكٌ .

وقال ابنُ كَثيرٍ: أخبَرَ تعالى: إنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ أي: يومَ القيامةِ، جَزاءً على كُفرِهم الغَليظِ.

٤٠٠ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ (يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وَ «الرَّشْحُ»: العَرَقُ.

٤٠١ – وعن المقداد ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ». قَالَ سُلَيْم بنُ عامِر الراوي عن المقداد: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعني بِالمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأرضِ أَم المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ قَالَ: «فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ في العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومنهم مَن يكُون إِلَى رُكبتَيه، ومنهم مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُول الله ﷺ بيدهِ إِلَى فِيهِ) رواه مسلم.

٤٠٢ – وعن أَبي هريرة ﷺ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ (يَعْرَقُ النَّاسُ يومَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأَرضِ سَبْعِينَ ذِراعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ومعنى «يَذْهَبُ في الأَرضِ»: ينزل ويغوص.

==========

(**حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشْحِهِ**) وفي رواية (حتى إن العرق يُلجم أحدهم إلى أنصاف أذنيه) .

(**إِلَى أفوَاهِ النَّاسِ**)؛ أي: يصل إلى أفواههم، فيصير لهم بمنزلة اللجام، فيمنعهم من الكلام وإلى آذانهم بأن يغطي الأفواه، ويعلو عليها؛ إذ الأذن أعلى من الفم، فيكون الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يلجمه فقط، ومنهم مق يزيد فيبلغ إلى أذنيه .

(**يَعْرَقُ النَّاسُ**) بفتح الراء .

(**يومَ القِيَامَةِ**) بسبب الأهوال .

(**حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ**) يذهب سائحاً .

(**وَيُلْجِمُهُمْ**) بضَمِّ التَّحتيةِ وسُكونِ اللامِ وكَسرِ الجيمِ، مِن ألجَمَه الماءُ: إذا بَلَغَ فاهُ .

حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

١-هذه الأحاديث تَدُلُّ على عِظَمِ يَومِ القيامةِ، وأنَّ على المؤمِنِ أن يَخافَ من هذا اليَومِ العَظيمِ... وإذا كانتِ الشَّمسُ في أَوْجِها في الدُّنيا وبُعْدِها عنا بهذه الحَرارةِ، فكَيفَ إذا كانت بهذا القُربِ؟! ولَكِنَّ هذه الشَّمسَ يَنجو منها من شاءَ اللهُ، فإنَّ اللهَ تعالى يُظِلُّ أقوامًا بظِلِّه يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه .

٢-من أهوال يوم القيامة العرق يسيل من الناس .

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبِيُّ: قَولُه: ((تُدنَى الشَّمسُ يَومَ القيامةِ) أي: تُقَرَّبُ. والميلُ: اسمٌ مُشتَرَكٌ بينَ مَسافةِ الأرضِ، والمِرْودُ الذي تُكحَّلُ به العَينُ. ولِذلك أشكلَ المرادُ على سليمِ بنِ عامِرٍ، والأَولى به هنا: مَسافةُ الأرضِ؛ لأنَّها إذا كان بينَها وبينَ الرُّؤوسِ مِقدارُ المِروَدِ فهيَ مُتَّصِلةٌ بالرُّؤوسِ لقِلَّةِ مِقدارِ المِروَدِ. وقَولُه (فيَكونُ النَّاسُ في العَرَقِ على قَدرِ أعمالِهم؛ فمنهم مَن يَكونُ إلى كعبَيه، ومنهم مَن يَكونُ إلى رُكبَتَيه، ومنهم مَن يَكونُ إلى حقْوَيه، ومنهم مَن يُلجِمُه العَرَقُ إلجامًا) . وهذا العَرَقُ إنَّما هو لشِدَّةِ الضَّغطِ، وحَرِّ الشَّمسِ التي على الرُّؤوسِ بحَيثُ تَغلي منها الهامُ، وحَرارةِ الأنفاسِ، وحَرارةِ النَّارِ المحْدِقةِ بأرضِ المحْشَرِ، ولِأنَّها تَخرُجُ منها أعناقٌ تَلتَقِطُ النَّاسَ مِنَ الموقِفِ، فتَرشَحُ رُطوبةُ الأبدانِ من كُلِّ إنسانٍ بحَسَبِ عَمَلِه، ثُمَّ يُجمَعُ عليه ما يَرشَحُ منه بَعدَ أن يَغُوصَ عَرقُهم في الأرضِ مِقدارَ سَبعينَ باعًا، أو ذِراعًا، أو عامًا، على اختِلافِ الرِّواياتِ... والحاصِلُ أنَّ هذا المقامَ مَقامٌ هائِلٌ لا تَفي بهولِه العِباراتُ، ولا تُحيطُ به الأوهامُ، ولا الإشاراتُ، وأبلَغُ ما نَطَقَ به في ذلك النَّاطِقونَ: قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ .

٣-هناك في موقف الحساب، ومع دُنوِّ الشمسِ من رُؤوس الخلائق، واشتداد الحرّ، هُناكَ مَن يُظلُّهم الله، جعلني الله وإياكم ووالدينا وأهلينا منهم .

قال ﷺ (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاه) متفق عليه .

وفي روايةٍ (يُظلُّهم الله في ظلِّ عرشه) رواه سعيد ابن منصور وحسنه ابن حجر.

قال ابن عبد البر: هذا أحسنُ حديثٍ يُروَى في فَضائل الأعمال وأعمُّها وأصحُّها إن شاء الله، وحَسْبُك به فضلًا؛ لأن العلمَ مُحيطٌ بأن من كان في ظلِّ الله يومَ القيامةِ لم يَنَلْ هَوْلَ الموقف .

من أسباب الظلِّ يوم القيامة: إنظار المعسر:

قال ﷺ (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ) رواه مسلم .

من أسباب الظلِّ يوم القيامة: تَعَلُّم سورة البقرة وآل عمران:

قال ﷺ (تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ) رواه أحمد .

ومن أسباب الظلِّ يوم القيامة: المحبة بجلال الله:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» (رواه مسلم).

ومن أسباب الظلِّ يوم القيامة: الصدقة .

قال ﷺ (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ) رواه أحمد .

٤- قال القسطلاني : ظاهرَ قَولِه (النَّاس) التَّعميمُ، لَكِن في حَديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ أنَّه قال: يَشتَدُّ كربُ النَّاسِ ذلك اليَومَ حَتَّى يُلجِمَ الكافِرَ العَرَقُ، قيلَ له: فأينَ المؤمِنونَ؟ قال: على كراسِيَّ من ذَهَبٍ، وتُظَلِّلُ عليهمُ الغَمَامُ

٥-قدرة الله -عز وجل- وعظمته إذ الناس جميعا محشورون إليه.

٦-أعمال العباد تؤثر على منازلهم في المحشر.

٧-ناس يكونون في الشدة يوم القيامة في الموقف على حسب أعمالهم.

٨-الترغيب بأعمال الخير، والترهيب من أعمال الشر.

٩-بيان أهوال يوم القيامة والتحذير منها .

٤٠٣ – وعنه، قَالَ (كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ إذْ سمع وجبة ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِها فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا) رواه مسلم.

==========

(**كُنَّا مَعَ رَسُول الله إذْ سمع وجبة**) قال القُرطُبِيُّ: الوَجْبةُ: الهَدَّةُ، وهي صَوتُ وَقْعِ الشَّيءِ الثَّقيلِ .

(**قَالَ : هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ**) أي: نار جهنّم .

(**مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا**) أي: من ابتداء سبعين سنة .

١-الحديث دليل على وجوب الخوف من النار ، فإن قعرها بعيد وحرها شديد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ). رواه مسلم

وعَنه رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال (إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ لا يَرى بها بَأسًا يَهوي بها في النَّارِ سَبعينَ خَريفًا). رواه الترمذي

وعَن خالِدِ بنِ عُمَيرٍ العَدويِّ قال: خَطَبَنا عُتْبةُ بنُ غَزوانَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثُمَّ قال: (أمَّا بَعدُ، فإنَّ الدُّنيا قَد آذَنَتْ بصَرمٍ ووَلَّتْ حَذَّاءَ، ولَم يَبقَ مِنها إلَّا صُبابةٌ كَصُبابةِ الإناءِ، يَتَصابُّها صاحِبُها، وإنَّكم مُنتَقِلُونَ مِنها إلى دارٍ لا زَوالَ لَها، فانتَقِلُوا بخيرِ ما بحَضرَتِكم، فإنَّه قَد ذُكِرَ لَنا أنَّ الحَجَرَ يُلقى مِن شَفَةِ جَهَنَّم، فيَهوي فيها سَبعينَ عامًا، لا يُدرِكُ لَها قَعرًا، ووااللهِ لَتُملأنَّ، أفعَجِبتُم؟) رواه مسلم .

٢-الحث على الاستعداد لليوم الآخر بالعمل الصالح، والتحذير من جهنم.

٤٠٤ – وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

الحديث تقدم شرحه (١٣٩) .

(**اتَّقُوا النَّارَ**) أي: اجعلوا بينكم وبينها وقاية بالعمل الصالح.

(**وَلَوْ بشقِّ تَمْرَةٍ**) أي: ولو تتصدقوا بنصف تمرة.

(**فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ**) أي: في الجانب الذي على يمينه.

(**فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّم**) أي: من أعماله الصالحة، وعند الترمذي بلفظ (فلا يرى شيئاً إلا شيئاً قدمه).

(**وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرى إلاَّ مَا قَدَّم**) أي: من أعماله السيئات، قال الحافظ: يحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يترجى أن يجد طريقاً يذهب فيها، ليحصل له النجاة من النار .

١-الحديث دليل على وجوب الخوف من الله ، وذلك بفعل الأعمال الصالحات وترك السيئات ، حيث يوم القيامة لا ينفعه إلا ما قدمه من عمل صالح .

فعلى المسلم أن يجتهد في فعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات ، ولو بعمل يسير ، كالصدقة بشق تمرة .

٢-وجوب اتقاء النار.

٣ – الحث على العمل الصالح، وأنه هو السبب في النجاة من النار بعد رحمة الله.

٤ – إثبات يوم القيامة.

٥ – إثبات الجزاء يوم القيامة.

٦ – إثبات الكلام لله تعالى.

٧–فضل الصدقة .

٨–أن الصدقة من أسباب النجاة من النار .

٤٠٥ – وعن أنس ﷺ قَالَ: خطبنَا رَسُولُ الله ﷺ خطبة مَا سَمِعْتُ مِثلها قَطّ، فَقَالَ (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيتُمْ كَثِيرًا». فَغَطَّى أصْحَابُ رَسُول الله ﷺ وَجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

٤٠٦–وعن أَبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَع أَصَابِعَ إلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ تَعَالَى. والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى) رواه الترمذي ، وَقالَ: «حديث حسن».

وَ «أَطَّت» بفتح الهمزة وتشديد الطاءِ و «تئط» بفتح التاءِ وبعدها همزة مكسورة، وَالأطيط: صوتُ الرَّحْلِ وَالقَتَبِ وَشِبْهِهِمَا، ومعناه: أنَّ كَثرَةَ مَنْ في السَّماءِ مِنَ المَلائِكَةِ العَابِدِينَ قَدْ أَثْقَلَتْهَا حَتَّى أطّتْ. وَ «الصُّعُدات» بضم الصاد والعين: الطُّرُقات: ومعنى: «تَجأَرُون»: تَستَغيثُونَ.

==========

١–الحديث دليل على وجوب الخوف من الله .

قال ابن حجر: قوله (لو تعلمون ...) والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة والمراد به التخويف.

وعن الحسن البصري من علم أن الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي الله تعالى مشهده فحقه أن يطول في الدنيا حزنه.

وقال النووي : وَلَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْت، وَعَلِمْتُمْ مَا عَلِمْت مِمَّا رَأَيْته الْيَوْم، وَقَبْل الْيَوْم، لَأَشْفَقْتُمْ إِشْفَاقًا بَلِيغًا، وَلَقَلَّ ضَحِكُكُمْ، وَكَثُرَ بُكَاؤُكُمْ.

وقال القرطبي رحمه الله قوله ﷺ (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) يعني ما يعلم هو من أمور الآخرة وشدة أهوالها، ومما أعد في النار من عذابها وأنكالها، ومما أعد في الجنة من نعيمها وثوابها، فإنه صلى الله عليه وسلم قد كان رأى كل ذلك مشاهدة وتحقيقاً، ولذلك كان ﷺ متواصل الأحزان، قليل الضحك، جُلُّه التبسم.

وقال المناوي رحمه الله قوله (لو تعلمون ما أعلم) أي: من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وأهوال القيامة وأحوالها ما علمته لما ضحكتم أصلاً، المعبر عنه بقوله (لضحكتم قليلاً) إذ القليل بمعنى العديم على ما يقتضيه السياق، لأن (لو) حرف امتناع لامتناع.

قال المباركفوري : قوله: (إني أرى ما لا ترون) أي: أبصر ما لا تبصرون، (أطَّت السماء): أي: صوَّتت، أي: أصدرت صوتاً. وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، (وحُقَّ) أي: ويستحق وينبغي (لها أن تئط) أي: تصوت، (ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك) أي: فيه مَلَك) (واضع جبهته لله ساجداً) قال القاري: أي منقاداً، ليشمل ما قيل إن بعضهم قيام، وبعضهم ركوع، وبعضهم سجود، كما قال تعالى حكاية عنهم: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) أو خص السجود باعتبار الغالب منهم، أو هذا مختص بإحدى

السماوات، (إلى الصُّعُدات) أي: الطرق. وقيل: المراد بالصعدات هنا البراري والصحاري، (تجأرون إلى الله) أي: تتضرعون إليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء" انتهى باختصار.

٢-أن المؤمن بقدر ما يعلم عن الله -تعالى- من عظمة وجلال، يزداد خوفه من عقابه.

٣-من صفات المؤمن الخوف والهيبة من الله -تعالى-.

٤-الحث على الاستغاثة بالله وطلب رحمته وعفوه سبحانه.

٥-أهل السماء طائعون لله ساجدون له لا يغفلون عن ذكره .

٦-كثرة الملائكة .

٧-عبودية الملائكة لربها .

٤٠٧ - وعن أَبي برزة - براء ثُمَّ زاي - نَضْلَة بن عبيد الأسلمي - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبلاهُ؟) رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

==========

١-الحديث دليل على إثبات الحساب يوم القيامة ، وأن الإنسان ينبغي له أن يحاسب نفسه في الدنيا قبل حساب الآخرة ، فإنه من حاسب نفسه اليوم هان عليه الحساب غدًا .

قال الله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم .

وقال عمر : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وَزِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : إن المؤمن قوَّام على نفسه، يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .

٢-الحديث دليل على أن الإنسان سوف يسأل عن عمره فيم أفناه ؟

فيجب على الإنسان أن يستغل هذا العمر بطاعة الله وما يقربه إلى الله قبل الموت .

واعلم أن الإنسان في موضعين يتمنى الرجعة للدنيا ليعمل صالحاً .

الموضع الأول : عند الاحتضار.

قال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ...).

يتمنى إذا احتضر وجاءت سكرة الموت، وجاء الموت، يتمنى أن يرجع ويعمل الأعمال الصالحة.

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ).

الموضع الثاني : الكفار في النار .

قال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ. وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا. رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ. فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ).

إن كثيراً من الناس لم يعتبروا وقد أُمهلوا من أعمارهم سنين، ولم يستجيبوا لصوت النذارة وقد صاح بهم في كل حين، فعند ورود الآخرة سيسمعون هذا العتاب المخزي، ويذوقون مرارة العذاب المردي: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) .

وإذا مد للإنسان في العمر فقد اتسعت دائرة زوال العذر عنه، فلا يبقى له احتجاج بقصر الزمان، وسرعة تقضي الأوان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال (أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً) رواه البخاري .

وعند أحمد (لَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَى عَبْدٍ فِي الْعُمُرِ أَحْيَاهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً) .

قال النووي: قَالَ العلماء: معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذراً إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المدَّةَ.

وقال الحافظ ابن حجر: الإعذار إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به. يقال أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية.

٣-الحديث دليل على أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به .

وهذا يدل على أن المراد من العلم العمل به ، فالغاية من تعلم العلم هي العمل به؛ لذا رفع الله تعالى درجة العلماء على غيرهم، فقال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات) .

وهم أهل الخشية؛ كما قال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) .

واعلم أنه لا خير في علم لا يقترن بعمل مخلص متابع الرسول ﷺ في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وسائر شئون حياته وذلك بأن يؤدى حق الله وحق العبيد.

- واعلم أن العلم إن وجد لنفسه داراً مكث وإلا رحل عنك، ودار العلم العمل، والعلم لا يثبت إلا بالعمل.

قال علي بن أبي طالب ﷺ (هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل) ذكره الخطيب.

وقد ذم الله اليهود لانهم لم يعملوا بعلمهم وشبههم بالحمار يحمل أسفاراً.

قال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً).

قال ابن كثير: يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل ثم لم يعملوا بها: مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير، لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوه.

ومن لم يعمل بعلمه فإنه سيكون حجة عليه.

كما جاء في الحديث (لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع وذكر منها .. وعن علمه ماذا عمل به).

وقال بعض السلف (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

والذي يعمل بعلمه يثبت علمه.

قال بعض السلف: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

وهناك نماذج مشرقة في تطبيق العمل بالعلم:

أ-عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً).

ب- ولما علم النبي ﷺ علياً وفاطمة: أن يسبحا ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين وقال: (فهو خير لكما من خادم) قال علي ﷺ: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. رواه مسلم

ج-وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ثلاث ليال، إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه، قال ابن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي) رواه مسلم.

د-وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ (من قرأ آية الكرسي عقيب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت). رواه النسائي

قال ابن القيم: بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال: ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه.

أما تعلُّمه لغير هذا الغرض فإنه يصير وبالًا على صاحبه يوم القيامة .

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرَضًا من الدنيا – لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة) يعني: ريحها؛ رواه أحمد .

وقد جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع.

ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).

وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي ﷺ وفي بعضها (ومن دعاء لا يسمع).

وفي بعضها (أعوذ بك من هؤلاء الأربع).

وخرج النسائي من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم إني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع).

وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً).

وخرج النسائي من حديث أنس (أن النبي ﷺ كان يدعو: اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علماً تنفعني به).

٤-الحديث دليل على الإنسان سوف يسأل عن ماله مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟

من أين اكتسبها : أمِن حَلالٍ أم مِن حَرامٍ؟

وفيمَ أنفَقَها : أفي طاعةٍ أم في مَعصيةٍ؟

فعلى الإنسان أن يحرص على أن يكون ماله حلالاً وأن ينفقه في وجوه الخير .

فإن المال وديعة من الله للعبد، والله يعطي العبد بقدر حتى يعيش بسلام ولا يبغِ في الأرض .

قال تعالى (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) .

وأعطاه المال وقيّده بضوابط شرعية فليس له أن يخبط في ماله بغير حق، قال -سبحانه- في صفة عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .

فمن عقوبات أكل الحرام :

عدم قبول دعائه .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أيها الناسُ، إن الله طيّبٌ لا يقبَلُ إلا طيبًا، وإن الله أمرَ المؤمنين بما أمرَ به المرسلين، فقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم) وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم) ثم ذكر الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ، يمُدُّ يديه إلى السماءِ: يا رب، يا رب، ومطعمُه حرامٌ، ومَشرَبُه حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجَابُ لذلك؟) .

محق البركة:

قال الله تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم) .

قال العلماء: يمحق الربا؛ أي: يُذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله، فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة.

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال (ما أحدٌ أكثرَ من الربا إلا كان عاقبَةُ أمرِه إلى قِلَّة) .

العذاب في الآخرة:

عن خولَةَ الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول (إن رجالًا يتخوَّضون في مالِ الله بغيرِ حقٍّ، فلهم النارُ يومَ القيامة).

ومما يُلاحَظُ: تساهل كثيرٍ من الناس في أكل المال الحرام .

وذلك مصداقًا لقول النبيّ ﷺ (ليأتينَّ على الناس زمانٌ، لا يبالي المرءُ بما أخذَ المالَ: أمِنَ الحلال أم من الحرام) .

٤-الحديث دليل على أن الإنسان سوف يسأل يوم القيامة : عَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبلاهُ ؟

فإنْ أبلاهُ في طاعةِ اللهِ سَعِدَ ونجا مع النَّاجينَ وإنْ أبلَى جَسَدَهُ في معصِيَةِ اللهِ خَسِرَ وهَلَكَ.

٥-في الحديث إرشادٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لِأُمَّتِه إلى اغتِنامِ الفُرَصِ في الحياةِ؛ لِلعَمَلِ لِلآخِرةِ بِمَلْءِ الأوقاتِ بالطَّاعاتِ؛ لِأنَّها هي عُمُرُ الإنسانِ في الدُّنيا، وذَخيرَتُه في الآخِرةِ.

٦-في الحَديثِ: بَيانُ أنَّ لِكُلِّ عَبدٍ وَقفةً لِلحِسابِ بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعالى.

٧- بَيانُ صِفةِ سُؤالِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ لِلعَبدِ يَومَ القيامةِ.

٤٠٨ - وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ (قرأ رَسُول الله ﷺ (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرونَ مَا أَخْبَارهَا»؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فإنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا في يَومِ كَذَا وكَذَا، فَهذِهِ أَخْبَارُهَا) رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

==========

١-الحديث دليل على أن الأرض تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر ، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم .

والظاهر أن هذا التحديث من الأرض على سبيل الحقيقة، بأن يخلق الله- تعالى- فيها حياة وإدراكا، فتشهد بما عمل عليها من عمل صالح أو طالح، كما تشهد على من فعل ذلك.

الأماكن التي تذكر فيها ربك ، سوف تشهد لك في يوم تحتاج فيه الشهادة ، فازرع شهودك في كل مكان .

وقد قيل: إذا عصيت الله في مكان فلا تفارقه حتى تعمل فيه طاعة.. ليشهد لك ..كما شهد عليك .

قال السَّمعانيُّ: قَولُه (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) أي: تُحَدِّثُ بما عَمِلَ عليها من خَيرٍ وشَرٍّ يَعني الأرضَ .

وقال السَّعديُّ: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ الأرضُ أَخْبَارَهَا) أي: تَشهَدُ على العامِلينَ بما عَمِلوا على ظَهرِها من خَيرٍ وشَرٍّ، فإنَّ الأرضَ من جُملةِ الشُّهودِ الذينَ يَشهَدونَ على العِبادِ بأعمالِهم، ذلك بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا أي: وأمرَها أن تُخبِرَ بما عُمِلَ عليها، فلا تَعصي لأمْرِهِ

٢-ومنَ الشُّهودِ يَومَ القيامةِ: أعضاءُ الإنسانِ وجَوارِحُه .

قال اللهُ تعالى (يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

قال ابن جرير : قوله (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ) يَقولُ: (حَتَّى إذا ما جاؤوا النَّارَ شَهِدَ عليهم سَمعُهم بما كانوا يُصْغُونَ به في الدُّنيا إليه، ويَستَمِعونَ له، وأبصارُهم بما كانوا يُبصِرونَ به ويَنظُرونَ إليه في الدُّنيا وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون).

وقال ابن كثير : (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا) أي: وُقِفوا عليها (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي: بأعمالِهم مِمَّا قَدَّموه وأخَّروه، لا يُكتَمُ منه حَرفٌ (وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) أي: لاموا أعضاءَهم وجُلودَهم حينَ شَهِدوا عليهم، فعِندَ ذلك أجابَتْهمُ الأعضاءُ (قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي: فهو لا يُخالَفُ ولا يُمانَعُ، وإليه تُرجَعون.

وقال السعدي : (حتى إِذَا مَا جَاءُوهَا) أي: حَتَّى إذا ورَدوا على النَّارِ، وأرادوا الإنكارَ، أو أنكَروا ما عَمِلوه من المعاصي، (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) عُمومٌ بَعدَ خُصوصٍ (بما كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي: شَهِدَ عليهم كُلُّ عُضوٍ من أعضائِهم، فكُلُّ عُضوٍ يَقولُ: أنا فعَلتُ كذا وكَذا يَومَ كذا وكَذا. وخَصَّ هذه الأعضاءَ الثَّلاثةَ؛ لأنَّ أكثَرَ الذُّنوبِ إنَّما تَقَعُ بها أو بسَبَبِها .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ « هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ». قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا – قَالَ – فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِي. قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ – قَالَ – ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ – قَالَ – فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِل) رواه مسلم .

٤٠٩ – وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (كَيْفَ أَنْعَمُ! وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلَى أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ». رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسنٌ».

«القَرْنُ»: هُوَ الصُّورُ الَّذِي قَالَ الله تَعَالَى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} [الكهف: ٩٩]، كذا فسَّره رَسُول الله ﷺ .

==========

(**كَيْفَ أَنْعَمُ!**) أفرح .

(**وَصَاحِبُ القَرْنِ**) وهو إسرافيل .

(**قَدِ التَقَمَ القَرْنَ**) وضع طرف البوق على فمه .

(**وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بالنَّفْخِ**) وفي رِوَايَةِ (وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ) .

١-الحديث دليل على إثبات النفخ في الصور .

والنفخ في الصور ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ).

وقال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ).

وقال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً).

وقال تعالى: (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ).

ومن السنة:

عن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: (قرن ينفخ فيه).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً ، ثم لا يبقى أحد إلا صعق ... ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون).

وأجمع المسلمون على ثبوته.

٢- النافخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام .

وهذا هو المشهور، وقد نقل بعض العلماء الإجماع على ذلك.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا: ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته متى يؤمر فينفخ ....

وقال القرطبي: والصحيح في الصور أنه قرن ... ينفخ فيه إسرافيل.

٣- عدد النفخات:

اختلف العلماء في عدد النفخات على قولين:

القول الأول: أنها نفختان: نفخة الصعق ونفخة البعث.

ويدل لهذا قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ).

وقال تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ. فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ).

فقوله تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ). هذه النفخة الأولى.

وقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) هذه هي النفخة الثانية.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (ما بين النفختين أربعون) قالوا: يا أبى هريرة: أربعين يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة: قال: أبيت). متفق عليه

القول الثاني: أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث.

واحتجوا: في قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) وهذه نفخة الفزع.

وقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ...) هذه نفخة الصعق.

وقوله تعالى: (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) هذه نفخة البعث.

قالوا: إن الفزع مغاير للصعق.

٤- الحديث دليل على أن صاحب الصور مستعد للنفخ.

لقوله ﷺ (كيف أنعم ، وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ ...) .

٥- المستثنون من الفزع والصعق.

قال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ...). اختلف العلماء في المستثنى من الفزع والصعق على أقوال:

قيل: الموتى كلهم، لكونهم لا إحساس لهم فلا يصعقون.

واختاره القرطبي في المفهم.

وقيل: هم الشهداء.

واختاره القرطبي صاحب التذكرة.

وقيل: الأنبياء.

وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

وقيل: موسى وحده.

وقيل: هم خُزان الجنة والنار وما فيها من الحيات والعقارب.

وقيل: الملائكة كلهم وحور العين.

قال ابن الجوزي: قوله تعالى (إِلاَّ مَنْ شاء اللهُ) ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الشهداء، قاله أبو هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير.

والثاني: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ثم إن الله تعالى يميتهم بعد ذلك، قاله مقاتل.

والثالث: أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن، وكذلك مَن في النار، لأنهم خُلقوا للبقاء، ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا.

٦-مقدار ما بين النفختين:

في حديث أبي هريرة. أن النبي ﷺ قال: (ما بين النفختين أربعون) قالوا: يا أبى هريرة: أربعين يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة: قال: أبيت). متفق عليه

القول الأول: أربعون يوماً أو شهراً أو سنة.

القول الثاني: أربعون سنة.

القول الثالث: أربعون أسبوعاً.

والراجح الأول من غير تحديد يوم أو شهر أو سنة، لحديث أبي هريرة.

٧- واختلف في سبب إبائه ﷺ على أقوال:

قيل: إنه امتنع من بيانه لعدم علمه به، فلم يرد الخوض فيه بالرأي.

وقيل: إنه أراد أنه امتنع عن سؤال النبي ﷺ عن تفسيره.

وقيل: إنه امتنع عن بيانه مع أنه عنده علم منه، ولكنه لم يفسره لأنه لم تدع الحاجة إلى بيانه، واستظهره القرطبي.

وقيل: إنه سكت ليخبرهم في وقت آخر ثم اشتغل عن الإعلام.

والأقرب الأول - والله أعلم -.

٤١٠ – وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ. ألاَ إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ) رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن».

وَ «أَدْلَجَ»: بإسكان الدال ومعناه سَار من أول الليل. والمراد التشمير في الطاعة، والله أعلم.

==========

(**مَن خافَ**) أي : مِن عدوٍّ.

(**أَدْلَجَ**) أي : هربَ في أول الليل ؛ لأن العدوَّ يُغِيرُ في آخره .

(**ومَن أَدْلَجَ بَلَغَ المنزلَ**) يريد : مَن خاف الله فَلْيهربْ من المعاصي إلى الطاعات .

(**ألا**) : حرف تنبيه.

(**إن سلعةَ الله**) أي: متاعه

(**غاليةٌ**) أي: رفيعةُ القيمة ، لا يَليق بثمنها إلا النفسُ والمالُ .

١–الحديث دليل على أن من أراد الجنة ولا سيما الفردوس الأعلى فإن عليه أن يبذل ما يوصله إليها من العمل الصالح ، ومن ذلك الهروب من معاصي الله تعالى إلى طاعته ،كما يهرب الرجل من العدو في أول الليل لينجو.

٢– وهذا الحديث مثل ذكره النبي ﷺ ليبين فيه أن الرجلَ إذا هربَ في أول الليل ينجو من العدو ؛ لأن العدو يُغير بعد الصبح ، وكذلك العبد إذا هرب من معاصي الله تعالى إلى طاعته نجا في الآخرة من عذابه وفاز بجنته .

قال الإمام الرامهرمزي، رحمه الله: " هذا من أحسن كناية وأوجزها، وأدلها على معنى لا يتعلق بشيء من لفظه، ومعناه: من خاف النار جَدّ في العمل، ومن جدّ في العمل وصل إلى الجنة، فجعل خائف النار بمنزلة المسافر الذي يخاف فوت المنزل فيرحل مَدْلِجا. والإدلاج: السير من أول الليل.

وجُعلت [الجنة] غالية، لشرفها وسَرْوِها، ولأنها لا تُنال بالهوينى والتقصير، إنما تُنال بمجاهدة النفس، ومغالبة الهوى، وترك الشهوات. انتهى

وقال الطيبي – رحمه الله –: هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة، فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في مسيره، وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وجنده، ومن قطع الطريق بأعوانه ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب، وتحصيل الآخرة متعسر، لا يحصل بأدنى سعي ...(ألا إن سلعة الله غالية) أي: رفيعة القدر وسلعة الله الجنة العالية الباقية، ثمنها الأعمال الخالصة الباقية التي أشار إليها بقوله سبحانه: (والْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وخَيْرٌ أَمَلاً) .

وفي معنى هذا الحديث: قوله ﷺ (الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَة) .

٣–حرص النبيّ ﷺ على نفع أصحابه وأمته ووعظهم وتذكيرهم.

٤–أسلوب النبيّ ﷺ في تقريب الفهم بالتشبيه وضرب الأمثلة.

٥– اهمية الاستعداد للآخرة لنيل رحمة الله تعالى والفوز بجناته.

٤١١ – وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». قُلْتُ: يَا رَسُول الله، الرِّجَالُ وَالنِّساءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْض؟! قَالَ: «يَا عائِشَةُ، الأمرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ)

وفي رواية: «الأَمْرُ أَهمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعضُهُمْ إِلَى بَعضٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

«غُرلًا» بِضَمِّ الغَينِ المعجمة، أيْ: غَيرَ مَختُونِينَ.

==========

(حُفَاةً) جمع حاف وهو من ليس عليه نعال.

(عُرَاةً) أي: غير لابسين ثياباً تستر عوراتكم.

(غُرْلاً) أي: غير مختونين.

١-الحديث دليل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً .

ومما يدل على ذلك :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ) متفق عليه .

وقد قال تعالى (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) وهذه لآية فيها قولان:

قيل : كما بدأناكم أعدناكم، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه، فهذا يوم البعث.

وقيل : أن الإنسان يأتي يوم القيامة كما خلقه الله عز وجل حين خلقه (حفاة عراة غرلاً) رجحه ابن جرير والشنقيطي.

٢-فإن قيل: ما الجواب عن حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ دَعَا بِثِيَابٍ جُدُدٍ فَلَبِسَهَا ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا) رواه أبو داود.

أولاً: أنهم يبعثون فيها ثم تبلى بعد القيام فإذا وافوا الموقف كانوا عراة.

ثانياً: أنهم يبعثون عراة ثم إذا كسي الأنبياء والصديقون ومن بعدهم كُسِيَ كلٌّ من جنس ما مات فيه من الثياب.

ثالثاً: وحمل بعض العلماء هذا الحديث على الشهداء فإنهم هم الذين أمر الرسول ﷺ أن يدفنوا في ثيابهم التي ماتوا فيها. فيبعثون في ثيابهم تمييزاً لهم عن غيرهم

رابعاً: أن المراد بالثياب الأعمال الصالحة كما قال تعالى (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) وقوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) والمعنى يبعث المرء على ما مات عليه من عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر، يدل عليه حديث جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ (يَقُولُ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) رواه مسلم، وحديث ابْنَ عُمَرَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ) رواه البخاري.

٣-الحديث دليل على إثبات الحشر .

والحشر هو: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

والحشر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ).

وقال تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

وقال تعالى (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ).

وقال تعالى (وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).

وقال تعالى (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ).

وقال ﷺ: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفْراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد). متفق عليه

٤-يحشر كل شيء حتى البهائم ودل على حشر البهائم:

أ- لقوله تعالى (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ).

ب_ وقوله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ).

ج- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ) رواه مسلم.

والجلحاء هي التي لا قرن لها.

قال النووي: هَذَا تَصْرِيح بِحَشْرِ الْبَهَائِم يَوْم الْقِيَامَة، وَإِعَادَتهَا يَوْم الْقِيَامَة كَمَا يُعَاد أَهْل التَّكْلِيف مِنْ الآدَمِيِّينَ، وَكَمَا يُعَاد الأَطْفَال وَالْمَجَانِين وَمَنْ لَمْ تَبْلُغهُ دَعْوَة، وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِل الْقُرْآن وَالسُّنَّة. قَالَ اللَّه تَعَالَى: (وَإِذَا الْوُحُوش حُشِرَتْ) وَإِذَا وَرَدَ لَفْظ الشَّرْع، وَلَمْ يَمْنَع مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِره عَقْل وَلا شَرْع وَجَبَ حَمْله عَلَى ظَاهِره. قَالَ الْعُلَمَاء: وَلَيْسَ مِنْ شَرْط الْحَشْر وَالإِعَادَة فِي الْقِيَامَة الْمُجَازَاة وَالْعِقَاب وَالثَّوَاب، وَأَمَّا الْقِصَاص مِنْ الْقَرْنَاء لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاص التَّكْلِيف إِذْ لا تَكْلِيف عَلَيْهَا ، بَلْ هُوَ قِصَاص مُقَابَلَة. وَاَللَّه أَعْلَم اهـ.

د_ ولحديث أبي ذر (أن النبي ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال: يا أبا ذر أتدري فيما ينتطحان؟ قال: قلت: لا ، قال: لكن الله يدري وسيقضي بينهما) رواه أحمد.

هـ- وحديث (مانع صدقة الإبل والبقر والغنم وأنها تجيء يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطأوه بأظلافها). متفق عليه

و-. الآثار الواردة في قوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) وأن الله تعالى يجمع الوحوش ثم يقتص من بعضها لبعض ، ثم يقول لها: كوني تراباً ، فتكون تراباً ، فعندها يقول الكافر (يا ليتني كنت تراباً).

٤- أرض المحشر الشام.

عن سهل بن سعد. قال: قال رسول الله ﷺ (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ، ليس فيها معلم لأحد) رواه البخاري.

عفراء: أي ليس بياضها ناصع. ... كقرصة النقي: الدقيق الخالص من الغش.

ليس فيها معلم لأحد: أي: شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة والبناء.